عمليتا بئر السبع: حماس تعيد الرعب إلى الكيان الصهيوني

01-9-2004

تأتي هذه العملية في وقت ساد الإحباط في الشارع الفلسطيني لعدم وفاء المقاومة بالتزاماتها التي قطعتها على نفسها في أعقاب هذه الاغتيالات وتغول قوات الاحتلال بدون رد يشفي صدور المواطنين، وخاصة الصلف الإسرائيلي في قضية الأسرى ومحاولة حكومة اليمين المتطرف قمع إرادتهم وإضرابهم بالقوة ورفضه التعاطي مع أي من مطالبهم العادلة حتى لا تساهم في تعزيز الروح المعنوية الفلسطينية.

بقلم وسام عفيفة

بعد خمسة أشهر وثمانية أيام من اغتيال الشيخ أحمد ياسين وبعد مرور أربعة أشهر و 14 يوما أيضا على اغتيال الرنتيسي وبعد انقطاع للعمليات الاستشهادية دام أكثر من ستة أشهر، جاء الرد موجعا على اغتيالهما بحسب بيان لكتائب القسام التي أعلنت فيه تبنيها للعمليتين البطوليتين التين وقعتا في بئر السبع عصر الثلاثاء، حيث أكدت أن الرد جاء متأخرا لكنه تأخر بسبب الإعداد والتخطيط، وجاء في البيان أن العمليتين جاءتا ضمن الرد الأولي من سلسلة الردود على اغتيال الشهيدين القائدين الياسين والرنتيسي وتضامنا مع الأسرى.

وفي الآونة الأخيرة بلغت القلوب الحناجر واعتقد الناس أن كتائب القسام أنهت العمل العسكري بانتهاء قادتها ومجاهديها، ولكن هذه العملية أكدت أن كتائب القسام لها قدرة عجيبة على التواصل والبقاء وأنها صاحبة الردود الموزونة وإن طال الزمن، كما أكدت هذه العملية أن الردود لو تأخرت لا يعني أنها ستنتهي

ولم يتوقع أحد أن تقوم كتائب القسام بهذه العملية في هذا الوقت وإن لم تستبعد ذلك، ولم يتوقع أحد أن تحقق هذا النجاح علما بأن العمليات السابقة لم توقع قتلى بهذا الكم، وهي العملية الأولى التي نفذت داخل حافلات صهيونية.

وتم اختيار الموقع بعناية فهو بعيد نوعا ما عن تجمعات الفلسطينيين من سكان منطقة بئر السبع ولا يبعد كثيرا عن معتقل النقب الصحراوي، كما أنه ليس ببعيد عن مستشفى سوروكا في بئر السبع، ويمكن تلخيص أبرز نتائج العملية على النحو التالي:

تأتي هذه العملية في وقت ساد الإحباط في الشارع الفلسطيني لعدم وفاء المقاومة بالتزاماتها التي قطعتها على نفسها في أعقاب هذه الاغتيالات وتغول قوات الاحتلال بدون رد يشفي صدور المواطنين، وخاصة الصلف الإسرائيلي في قضية الأسرى ومحاولة حكومة اليمين المتطرف قمع إرادتهم وإضرابهم بالقوة ورفضه التعاطي مع أي من مطالبهم العادلة حتى لا تساهم في تعزيز الروح المعنوية الفلسطينية.

هذه العملية قطعت الكثير من الشكوك حول قدرة المقاومة لا سيما بعدما حاول ارئيل شارون الإيحاء بأنه قضى على قوتها وقدرتها على الضرب في مدنه سواء من خلال الجدار أو عمليات الاغتيال والاعتقال والاجتياح والتي تفاخر أنها نجحت في وقف هذا النوع من العمليات وأنه أجهز على البنية التحتية للمقاومة التي ادعى أنها باتت عاجزة أمام أساليبه، ولا غرو أنها ستكون ذات آثار سلبية على حكومته التي لم يبق في حوزتها أساليب لم تستخدمها في مواجهة المقاومة الفلسطينية، خاصة أنه كان قبيل لحظات من التفجير في بئر السبع يهيئ حكومته وناخبيه أنه يخلي غزة ولا يفر منها وسيحقق الأمن المنشود الذي لم يستطع ان يحققه طوال فترة حكمه.

- وعلى الصعيد الداخلي أعادت هذه العملية الأضواء مرة أخرى إلى المقاومة بعد تركيزها كثيرا على قضايا الفساد والإصلاح التي أخذت حيزا كبيرا من الهم الفلسطيني وأثرت على الحياة اليومية الفلسطينية وأظهرت نوعا من الصراع على القيادة في المرحلة الحالية أو المستقبلية، ما أثر إلى حد ما على الصورة الناصعة في عين الفلسطينيين أنفسهم أو في محيطهم وفي أعين مناصريهم في أنحاء العالم، ولكن بهذا التفجير أعيدت البوصلة من جديد إلى حيث الصراع الأساسي الذي لما ينتهي ولا زال مشتعلا في صدور الأوفياء لهذا الوطن.

- ولا يمكن فصل ما جرى في بئر السبع عن الحوار الدائر في القاهرة فالمقاومة تؤكد انها حين ستعطي أي التزام بالتهدئة أو بالهدنة في أي مرحلة من مراحل الصراع، إنما ستعطيه عن قدرة وليس عن عجز أو ضعف وأن أي انسحاب من القطاع أو من أي منطقة لن يكون على حساب الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني.

- ولا شك أن هذه العملية ستزيد من رصيد حركة حماس التي نجحت قبل أيام قلائل في كسب معركة انتخابات هامة في نقابة المحاسبين وبزخم واضح.

أما على الصعيد الإسرائيلي، فقد أجمع المعلقون الإسرائيليون على أن العمليتين الاستشهاديتين، اللتين وقعتا في بئر السبع، تعتبران ضربتين قاسيتين للدولة العبرية وإجراءاتها الأمنية وأجواء الاستنفار القصوى والطوارئ التي ما برحت أجهزة الأمن الاسرائيلية تعلنها يوماً بعد يوم.

وفي أول رد فعل له، قال رئيس الوزراء الاسرائيلي، أريئيل شارون: "يجب محاربة الإرهاب، إنها سياسة الحكومة وسياستي أنا أيضاً، الحرب ضد الإرهاب هي حرب لا هوادة فيها".

وبعد ساعات على وقوع العمليتين دعا شارون وزير جيشه، شاؤول موفاز ورؤساء الأجهزة الأمنية المختلفة إلى اجتماع طارئ

لـ"تقويم الأوضاع الأمنية" في أعقاب عمليتي بئر السبع ولإقرار الرد العسكري عليهما. وأعلن قائد المنطقة الجنوبية في الشرطة انه لم تتوافر انذارات استخباراتية مسبقة وأن عناصر الشرطة قامت، استعداداً لبدء العام الدراسي الجديد (يوم 1/9)، بتمشيط مدينة بئر السبع "بحثاً عن أبناء أقليات" واعتقلت 40 منهم مكثوا فيها بشكل غير قانوني.

وقال وزير الأمن الداخلي، تساحي هنغبي، إن العمليتين تثبتان من جديد انه حيث اقيم جدار فاصل لا تقع عمليات استشهادية و"العمليتان وقعتا هنا بسبب عدم إقامة جدار يفصل بين الخليل وجنوب إسرائيل". ودعا وزير الخارجية، سيلفان شالوم، إلى الشروع في بناء الجدار في هذه المنطقة بغض النظر عن قرار محكمة العدل الدولية في لاهاي اعتبار الجدار غير قانوني.

في هذه الأثناء حمّل أقطاب اليمين المتطرف شارون مسؤولية وقوع العمليتين. وقال رئيس حزب "الاتحاد القومي" المتشدد، تسفي هندل، إن شارون "يتحمل مسؤولية لا بأس بها لحمام الدم"، مضيفاً: "انه يشجع المخربين" على قتل المزيد من اليهود على خلفية ضعفه وهاجسه "لترحيل" المستوطنين من غزة. ورأى الوزير زبولون اورليف (مفدال) ان العمليتين "تعيداننا إلى الوضع المؤلم وتبددان وهم الهدوء والانفصال"، ودعا إلى إصدار الأوامر للجيش بالاستعداد لـ"حرب ضارية على الإرهاب"، بدلاً من اشغاله بالإعداد لاخلاء المستوطنات في غزة.